نشأة الأدب المقارن

ارتبطت نشأة الأدب المقارن بظهور الطابع العلمي فنجد طلائعه قد برزت عام 1827 م ، ثم أطلق على منابر كثيرة خصصت له منذ عام 183. م ، وفي هذه الفترة الزمنية كانت الشعوب قد تقدمت تقدما ملوحظا فالتاريخ العلمي الحديث أرجعه الكثير من المفكرين إلى عام 175. م ، حيث توصل الإنسان إلى معرفة البخار فسيّر به قطر السكك الحديدية ، والسفن العملاقة ، ومنه انطلق الإنسان إلى عصر الكهرباء ، والذرة ، ثم كانت الانطلاقات العلمية الواسعة في مجال الحياة ، والكون ، ومن ثم تربع الأدب المقارن حيث شاء العلم أن يضعه يشعل أول منبر له في جامعة ليون عام 1896 م على يد جوزيف تكست.

تزامن ظهور الأدب المقارن مع ظهور النزعة القومية الفرنسية ، التي أدت إلى ثورة الفرنسيين على الكتابة باللغات اللاتينية، واتجاههم إلى لغتهم القومية ، حيث نشأ عصر التنوير في القرن الثامن عشر، على أسس اللغة والثقافة في فرنسا ، فقد اتجهت فرنسا إلى الاهتمام بدراسة اللغات الرومانسية وآدابها ، والكشف عن دورها في نهضة الآداب الأوربية الحديثة بعدما كانت مهملة ، ومن ثم ظهر الاهتمام بآداب العصور الوسطى

و في محاولة لإعادة الاعتبار لهذه اللغات التي تمثل أساس اللغات القومية الأوربية الحديثة، بعد أن تعرضت للإهمال بحجة أن الأدب لا يكون ساميا إلا إذا كان مكتوباً باللغة اللاتينية . بناء على القوانين الكلاسيكية الصارمة، ومن هنا ندرك سر تركيز أصحاب هذا الاتجاه على القومية في دراسة التأثير، واشتراط اختلاف اللغة حتى تصح المقارنة، فالفرنسي في دراسته المقارنة . لاسيما في طور النشأة .كان حريصاً على إثبات إسهام القوميات لاسيما القومية الفرنسية ، في نهضة الآداب الأوربية المختلفة وقد دفعه اعتزازه بقوميته إلى اشتراط اختلاف لغة الأدبين المقارنين لكي يكشف عن أهمية تعدد اللغات ، ومن ثم يبرز تميز لغته الفرنسية عن اللغة اللاتينية اللغة الأم لهذه اللغات (اللهجات باعتبار الأصل)، وعن اللغات الأوربية الأخرى.

وقد أدى الاهتمام برسم ملامح القومية الفرنسية، ومحاولة إبراز تميزها إلى ازدهار علم التاريخ في القرن الثامن عشر، والقرن التاسع عشر في فرنسا ، فقد وضع أسس هذا المنهج (فرانسوا جيرو وأوجستين فيري)، من خلال كتابتهما للتاريخ القومي العام لفرنسا، وبعض الدول الأوروبية، في العقدين الثالث والرابع من القرن الثامن عشر، وقد أفاد النقاد والأدباء الفرنسيون من هذا المنهج في كتابة تاريخ الأدب الفرنسي، وقاموا بترسيخ منهج النقد التاريخي.

ومن ثم وفي ظل التوجهات القومية في اللغة والأدب والتاريخ في فرنسا ، أن يتجه الأدب المقارن اتجاهاً قوميا تاريخياً، هدفه أن يبرز الاسهامات التي يقدمها أدب قومي في تطور أدب قومي آخر،؛ لذا وطالبوا في دراسة التأثير أو التأثر أن تكون العلاقة بين الأدبين القوميين مبنية على وقائع ووثائق تاريخية ، تثبت انتقال الأدب المؤثر إلى الأدب المتأثر، مما أدى إلى الاهتمام بوسائل التأثير كالترجمة والكتب والرحلات، وتتبع سيرة الكاتب المؤثر، وسيرة الكاتب المتأثر، وكأن المهمة الرئيسة للمقارنة في هذا الاتجاه ، تنتهي عند إثبات التأثير بين أدبين قوميين.

ومن ثم ارتبط الأدب المقارن الفرنسي بالنزعة التاريخية القومية أي أنه نشأ في البداية فرعاً من فروع التاريخ الأدبي الفرنسي أثناء متابعته لتطور الأدب الفرنسي.

ولقد ظهر الأدب المقارن عند (فليمان) استجابة للنزعة القومية، عندما كان يلقي محاضرات في جامعة السربون عن تاريخ الأدب الفرنسي (1828- 1829) حيث تناول في هذه المحاضرات التأثيرات المتبادلة بين الأدب الفرنسي، والأدب الإنجليزي، وتأثير الأدب الفرنسي في إيطاليا في القرن الثامن عشر، هدفه من وراء ذلك تقديم صورة عن "ما تلقته الروح الفرنسية من الآداب الأجنبية ، وما أعطته لها من أجل كتابة تاريخ أدب شامل لفرنسا"

وهكذا كانت الرغبة في إبراز الجوانب القومية هي التي تسير الدراسات المقارنة بعد (فليمان).

ويبرز ذلك بوضوح من خلال إبراز المقارنين على التأثير الثنائي المتبادل بين أدبين قوميين ، يكون عادة الأدب الفرنسي أحد طرفي هذه المقارنات ؛ لأن الهدف هو إثبات القومية الفرنسية بإكمال كتابة تاريخ الأدب الفرنسي.

فكتاب الأدب . غالبا . يحدث لديهم نوع من المركز حول أدب قومية واحدة، ولا يستطيع القيام بكتابة تاريخ عدة آداب في آن واحد، وهذا أيضاً ما دفعهم إلى عدم الاعتراف بالدراسات المقارنة التي تتسع لتشمل عدة آداب في وقت واحد، وكذلك الدراسات التي تتناول التشابه بين الآداب القومية، حيث يتم تصنيفها تحت ما يسمى بالأدب العام (General Literature) ، فدراسة الرومانسية في الأدب الأوروبي لا تدخل عندهم في الأدب المقارن، وكذلك دراسة تأثير شكسبير في الأدب الأوربي بشكل عام، فكل ما لا يخدم فكرة القومية الفرنسية لديهم أسقطوه من الآداب المقارنة ؛ لأن هذا النوع من الدراسات . كما يبدو . لا يتفق مع توجههم القومي الذي يهدف إلى كتابة تاريخ الأدب الفرنسي، فدراسة التأثير المبني على حقائق ووقائع تاريخية تثبت دور كاتب أو أمة في مسيرة أدب قومي هي المعول عليها، أما دراسة التشابه المبني على توارد الخواطر أو على الصدفة ، وكذلك دراسة تأثر عدة آداب قومية جملة واحدة بأديب أو باتجاه أدبي ، فلأنها لا تخدم أو توثق أو تكمل كتابة تاريخ الأدب لقومية محددة ؛ فقد أخرجها أصحاب هذا الاتجاه من دائرة الأدب المقارن.

وقد سير الاتجاه القومي الأدب المقارن في فرنسا ، ويبدو ذلك واضحا بتتبع جهود أبرز المقارنين الفرنسيين، حيث تظهر الثنائية والتمركز حول القومية والتوجه التاريخي، من خلال عناوين أبحاثهم وكتابتهم التطبيقية.

فقد ألقى جان جاك أمبير.193 (J. J. Ampere) م، محاضرات في مرسيليا وباريس تمحورت حول التأثيرات المتبادلة بين الأدب الفرنسي، وعدد من الآداب الأجنبية في العصور الوسطى.

وإذا انتقلنا إلى (فرديناند برونتير) حينما أدخل الأدب المقارن إلى الكلية الطبيعية العليا في نهاية القرن التاسع عشر فإنه أراد بذلك مقارنة تطور الأدب الفرنسي بتطور الآداب الغربية الأخرى ومتابعة تطور الأجناس الأدبية (كما فعل آخرون مع البشر).

ومن ثم ارتبطت نشأة (الأدب المقارن)، بالاهتمام باللغات، وإبراز القوميات .

شهدت العقود الأولى من القرن (التاسع عشر) تعدد العلوم التي تسعى إلى ممارسة التحليل المقارني بين الأصناف والأنواع مثل :

"علم التشريح المقارني " لكوفييه (18.-18.5) ، و " النحو المقارن للغات أوربا اللاتينية " لفرانسوا رينوارد (1821) ، و " الفيزيولوجيا المقارنة " لبلان فيل (1833). ومنذ عام 1816 يمكن أن نذكر " دراسة في الأدب المقارن " لنويل ولابلانس، وأعيدت طباعتها مرات عديدة، و " دراسة تحليلية في الأدب العام " (1817) لنيبوموسين لوميرسية. ولكن من الأفضل ذكر " راسين وشكسبير " لستاندال، و " تمهيد كروميل " لفيكتور هوغو، ونظريته في السخرية، لأن هؤلاء مارسوا مقارنية عفوية وهاوية، في مواجهة الآخر، الجامعي الذي كان في طريقه إلى الظهور .

قدم فيلمان، في محاضرته العامه في السوربون عام 1828 -1829، مشهداً للقرن الثامن عشر تابع فيه تأثير انجلترا في فرنسا وبالعكس. ويمكننا بفضل هذا المشهد المقارني رؤية " ما تلقته الروح الفرنسية من الآداب الأجنبية وما أعطته لها". مع فيلمان بدأ مشوار طويل مع الأساتذة الذين سيعرّفون بالآداب الأجنبية في فرنسا، مثل آداب الشمال والجنوب، وسيعملون على مقارنتها بالأدب الفرنسي، ومن هؤلاء : كلود فوديل في السوربون بين عامي 183.-1844، وفيلاريت شاسل في الكوليج دوفرانس الذي شغل مكانه فيما بعد كلود بيشوا، أو إدغار كيني، وفي المدن الأخرى هناك مثلاً إكزافييه مارمييه في رين. عندما أدخل فرديناند برونتيير الأدب المقارن إلى الكلية الطبيعية العليا في نهاية القرن، فإنه أراد بذلك مقارنة تطور الأدب الفرنسي بتطور الآداب الغربية الأخرى، ومتابعة تطور الأجناس الأدبية (كما فعل آخرون مع البشر)، وفهم كيف تلقى الأدب الفرنسي التأثيرات الخارجية.

بهذا نكتشف مفهومي التطور والتغذية اللذين عاش عليهما وازدهر الأدب المقارن. وفي وقت لاحق ، يطيب للمقارنين أن يستشهدوا، للدعابة ، بجملة فاليري التي تظهر في كتاب بيشوا - روسو عام 1967، وكذلك في نسخة عام 1983، وهي : " صُنِع النمر من الخروف المهضوم ". تنقض حقيقة علم الحيوان هذه الحكمة، ولكنها تلخص أحد الأنشطة الأساسية للمقارنية وهي الاهتمام بالنمر دون نسيان أن دراسة الخراف تقودنا إلى فهم ماهو النمر. إذا كان للعبارة بعض الفائدة، فذلك بسبب كلمة " مهضوم "، لأن ملك الوحوش يطيب له أن يتغذى بلحم ثاغٍ، ولكنه يبقى مع ذلك الوحش المرعب والمهيب الذي نعرفه.

للوقوف على الاساس الذى بنى عليه الدراسات الادبية المقارنة، وبالعودة بالزمن الى الوراء، يمكن تلخيص مراحل نشأة الادب المقارن كما يلى:

1.مرحلة بدء ظاهرة التأثير والتأثر

أقدم ظاهرة تأثر سببه الغزو الرومانى لليونان وهزيمة اليونان عسكريا كما انهزمت الرومان ثقافيا وأدبيا، وبذلك أثر الأدب اليوناني في الأدب الروماني، من خلال محاكاة الرومانيين لأدباء اليونان وكتابهم وفلاسفتهم. هذه الظاهرة أثمرت لدى النقاد اللاتينيين ما كان نواة نظرية المحاكاة في عصر النهضة الأوروبية.

2. مرحلة نظرية المحاكاة عند الرومانيين

قدم الناقد الروماني (هوراس) معنىً آخر للمحاكاة مغايراً للمعنى الذي دعا إليه أرسطو(أرسطو: بيّن الصلة بين الفن وبين الطبيعة). فللشاعر مثلاً أن يحاكي العباقرة الذين هم بدورهم قد حاكوا الطبيعة. فكانت دعوة هوراس الموجهة لابناء قومه ان (اعكفوا على دراسة امثلة الاغريق ليلا ونهارا) لكنه لم يبين الطريقة والكيفية ولم يضع للمحاكاة شروطا الى ان جاء كانتليان فوضع قواعد المحاكاة .

كانتيليان و نظرية المحاكاة

1. المحاكاة للكتاب والشعراء مبدأ من مبادئ الفن لا غنى عنه.
2. المحاكاة تتطلب مواهب خاصة في الكاتب الذي يحاكي، كما أن لمحاكاة الطبيعة مواهب خاصة.
3. المحاكاة يجب أن لا تكون للكلمات والعبارات بقدر ما هي لجوهر موضوع الأدب ومنهجه.
4. على من يحاكي اليونانيين اختيار النماذج التي يتيسر محاكاتها، وأن تتوافر له قوة الحكم ليميز الجيد من الرديء.
5. المحاكاة غير كافية وحدها، ويجب ألا تعوق ابتكار الشاعر وألا تحول دون أصالته.

تم ازدهار الأدب الروماني بفضل هذه المحاكاة مع توفر أصالتهم في وقت واحد. وتبعاً لهذه النظرية قارن نقاد الرومان بين الكتاب ونماذجهم من اليونان، في صورة ساذجة للمقارنة، لا تتعدى هذه الحدود

3. مرحلة العصور الوسطى(1295-1453م):

- خضعت الآداب الأوروبية المختلفة لعوامل مشتركة وحدت بعض اتجاهاتها ووثقت علاقاتها بعضها ببعض. وظهر ذلك في اتجاهين هما:

1. الاتجاه الديني: من خلال:
- فرض سيطرة رجال الدين المسيحي الذين كان منهم الكتاب والقراء معاً.
- تغلغل الروح المسيحية في النتاج الأدبي.
- كانت اللغة اللاتينية هي لغة العلم والأدب ولغة الكنيسة.

2. الاتجاه الفروسي(الفروسية): ويقصد بها:
- سيطرة طبقة النبلاء التي توجد في جميع أنحاء أوروبا وما كان بينها من تعاون على مستوى الطبقة ذاتها.
- عملوا على: ابتكار الفروسية.
- احتكار الأموال.
- احتكار الثقافة والعلم من خلال توجيه أبنائهم نحو التعليم إلى جانب الفروسية.

4. مرحلة عصر النهضة(القرن الخامس عشر والسادس عشر):

- اتجهت الأداب الأوروبية وجهة الآداب القديمة، من يونانية ولاتينية. حاول رجال النهضة الأوروبية الرجوع إلى تلك النصوص في لغاتها الأصلية، ثم طبعها وترجمتها والتعليق عليها.كانت الدعوة إلى العودة إلى الآداب القديمة بمثابة ثورة فكرية؛ لأنها تضمنت الخروج على آداب العصور الوسطى ذات الطابع المسيحي.

- بروز النزعة الإنسانية، حيث عاد رجال الأدب إلى نظرية المحاكاة للأقدمين من اليونان واللاتين، لما في أدبهما من اتجاهات إنسانية، حيث عنيا بالإنسان ومشكلاته، من وجهة نظر إنسانية.

بروز جماعة الثريا (سبعة شعراء فرنسيين) وضعوا نظرية المحاكاة تحت مجهر التشريح والتفصيل، على اتخذوا منها وسيلة ناجحة لإغناء اللغة الفرنسية نظراً وتطبيقاً. كان همهم الدفاع عن اللغة الفرنسية. من هؤلاء :

(دورا) قدم نشاطاً عملياً لنظرية المحاكاة، في أقدم دراسة مثمرة، وإن كانت بدائية المنهج، حين أوضح كيف كان شيشرون الروماني مديناً في خطابته لخطيب اليونان ديموستين، مثلاً.

(دي بلي) كان له رأي في الترجمة، حيث عدها غير كافية للرجوع إلى القديم من خلالها، بل لابد من الأصل للوصول إلى الخصائص الفنية الأدبية. وقد قصد من دعوته وجوب العودة إلى النصوص في لغاتها الأصلية؛ لأنه طريق المحاكاة الصحيحة.

وقد خالفه أكثر زملاءه من جماعة الثريا. حيث عدوا الترجمة الأمينة الوفية لأصلها فضيلة إغناء اللغة التي تترجم إليها، كما أن الترجمة الدقيقة خير من الابتكار الذي يعوزه التوفيق

دوافع أصحاب النزعة الإنسانية للاستفادة من القديم عن طريق المحاكاة وشروطهم

1. أن يكون هدف المحاكاة الحرص على نهضة الأدب القومي.
2. اختلاف اللغة؛ والسبب أن المحاكاة من نفس اللغة يؤدي إلى جمود اللغة وركودها.كما أن بمحاكاة القديم يمكن إيجاد أجناس أدبية جديدة وهو ما لا يتيسر بمحاكاة أدباء اللغة نفسها.
3. يجب أن لا تمحو المحاكاة أصالة الكاتب، وتطلعه، ولا تقضي عليه إلأى أن يسبق نموذجه. أي: المحاكاة ليست تقليداً محضاً، بل هي سير على هدى نماذج بمثابة قدوة للكاتب.

5. مرحلة اكتمال حدود نظرية المحاكاة (دور الكلاسيكية)

- بنى الكلاسيكيون نظرية المحاكاة على أمرين:
1. تمجيد تراث اليونان والرومان للاقتداء به.
2. وجوب بذل الجهد في مجاوزة النماذج التي تحاكى.

نتائج هذه النظرية

1. الأصالة المطلقة مستحيلة.
2. المحاكاة الرشيدة طريق إغناء اللغات.(التأثر وليس التقليد)

قواعد المحاكاة عند الكلاسيكيين:

1. أن يختار من بين نماذجه بعد تمييز الصحيح من الزائف على أساس العقل الرشيد والدربة الفنية.
2. أن يحاكي ما يتفق وعصره، كما كتب الأقدمين لعصرهم.
3. اختلاف اللغة.

أثر نظرية المحاكاة:

- اتجه العصر الكلاسيكي(السابع والثامن عشر) إلى التقنين في الأدب، أي: النقد الفني العملي، متخذاً من الآداب القديمة المثال المحتذى. فكانت مهمة الناقد:
1. وضع قواعد الأجناس الأدبية.

2. دعوة الكتاب للسير عليها.
3. الحكم على قيمة إنتاج الكتاب بمبلغ اتباعهم لتلك القواعد

6. مرحلة القرن الثامن عشر

- جد في هذا القرن من العوامل المؤثرة في الدراسات المقارنة:
1. توثق الصلات بين الآداب الأوروبية أكثر مما كانت عليه في القرن السابق.
2. اشتد شوق الباحثين إلى التعرف بآداب أخرى لم تكن معروفة، كآداب أهل شمال أوروبا.
3. تعددت الرحلات.
4. كثرت الترجمات.
5. اتجه الأدب اتجاهاً إنسانياً، من شأنه أن يخرج به من حدود القومية إلى أفق أوسع وغاية أسمى.

مرحلة القرن التاسع عشر:

- كان هذا القرن عهد تقدم ملحوظ في الناحية الاجتماعية، والبحوث العلمية.
- توفرت رغبة قوية في استيعاب نواحي البحث في العلوم الأدبية، وفي تعرف الشعوب بعضها ببعض.
- كثرت الأسفار.
- تعددت التراجم للآثار الأدبية لمختلف الدول.
- عكف العلماء على درس مختلف الظواهر الاجتماعية والأدبية، بتعمق، لإرجاع كل ظاهرة إلى أسبابها.

نشأ عن جميع ماسبق اتجاهان مؤثران في نشأة الأدب المقارن: (الحركة الرومانتيكية- النهضة العلمية)

أثر الرومانتيكية في نشأة الأدب المقارن:

- قامت الرومانتيكية على أنقاض الكلاسيكية في اواخر القرن الثامن عشر .ظهرت في انجلترا – ألمانيا – فرنسا – أسبانيا– إيطاليا .

الرومانتيكية تهمل "العقل" ، ومكان الضمير، وهو عندهم " قوة من قوى النفس قائمة بذاتها، وهو غريزة خلقية تميز الخير من الشر عن طريق الإحساس والذوق". يقول ألفريد دي موسيه رائد الرومانتيكيين معارضا بوالو رائد الكلاسيكيين في مبدئه العقلي، يقول: " أول مسألة لي هي ألا ألقي بالا إلى العقل"، يقصد العقل في المفهوم الكلاسيكي السابق .

قامت الرومانتيكية على أساس "الفلسفة العاطفية" التي راجت في أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر .

ثار الرومانتيكيون على الغاية الخُلقية كما يراها الكلاسيكيون واعتبروا أن الأدب استجابة للعواطف الإنسانية والذوق الجمالي. وجعلوا القلب عند منبع الإلهام .

في الوقت الذي يرى الكلاسيكيون أن "الجمال" ما هو إلا انعكاس "الحقيقة"، يرى الرومانتيكيون أن مرد "الجمال" إلى "الذوق"، وبالذات الذوق الفردي، فبعد أن كان "الجمال" موضوعيا أصبح ذاتيا .

يعارض دي موسيه بواللو في مبدئه الكلاسيكي من نشدان الحقيقة، فيقول: " لاحقيقة سوى الجمال ولا جمال دون حقيقة ."اهتم الرومانتيكيون بالطبقة الوسطى، كما اهتموا بالفرد أكثر من اهتمامهم بالمجتمع والرأي العام .

الغاية من الأدبَ

ثار الرُومانتيكيُون على الغاية الخُلقيّة من الأدب واعتبروا أنَ الأدب استجابة للعواطف التي يكمن فيها الخير كلُه؛ كما أنَ العواطف موطن الجمال النَابع من الضَمير، وقد صوَروا في أدبهم عالم الجمال الذي يتخيَلونه في أحلامهم، يريدون أن يثوروا به على شرور المجتمع من حولهم .

لم يعبأ الرُومانتيكيُون بما ساد في المجتمع من أفكار وعقائد لا مبرر لها دينياً أو سياسياً - في نظرهم – والتي كان المجتمع يرضخ تحت سيطرتها، وبذلك ساعدوا على نشر العدل الاجتماعي، ويسَروا الطَريق أمام الطَبقة الوسطى لتظهر ويرتفع صوتها منادية بحقوقها، حتى أصبح لها الغلبة وامتلكت مقاليد الأمور، وهذا الأمر هو الذي ساهم في نشر الرُومانتيكية في المجتمعات الأوروبيَة من خلال آدابها، ومن ثمَ في المجتمع العالمي بشكل عام .

الذي دفع كتَاب الرُومانتيكيَة إلى هذا الاتِجاه الرومانتيكي، ما كانت عليه حال أوروبَا منذ القرن التَاسع عشر، من ضعف القيم وتبدُل في الطَبقات الاجنماعيَة، واستبداد الطَبقات العليا على غيرها من الطَبقات. أصبحت مهمة النقد تفسير إنتاج الفرد تفسيراً علمياً بوصفه تجربة حية للفرد في بيئته الخاصة، بعد أن كانت مهمة النقد بيان مقدار اتباع الكاتب للقواعد المفروضة عليه، وقياس براعته بمقدار خضوعه لها.

قامت إلى جانب الرُومانتيكيَة جهود ترمي إلى التَحرر الفكري والسِياسي. وتمثَلت هذه الجهود في الطَبقة "البرجوازيَة" التي أخذ عددها يتكاثر كلّما تقدَم بها العصر. وقد رأى الكتَاب جمهورا جديدا يمكنهم أن يعتمدوا عليه في المساعدة على نيل حقوقه، بديلا من الطَبقات الأرستقراطيَة.

من هذا المنطلق كان الأدب الرُومانتيكي أدبا ثائرا على مظالم المجتمع ويهتم بمصالح الفرد الإنسان، لذلك كان ذا طابع إنساني شعبي في اختيار أشخاصه وموضوعاته.

النَظرة النَقديَة الرُومانتيكية تنظر للأدب على أنَه من إنتاج الفرد وعبقريَته، لذلك أصبحت مهمَة النَقد تفسير الإنتاج الأدبي تفسيرا علمياً بوصف الأدب، تجربة لواقع الفرد في بيئته الخاصَة، وليس فقط إتِباع قواعد وقوانين يفرضها النَاقد ليس لها صلة بواقع العصر ومتغيِراته وحياة الإنسان وحاجاته. وجد اتِجاهان لهذا التَفسير العلمي في نقد الأدب من منظور مقارن:

الإتجاه الأول ينظر إلى الأدب في علاقته بالبيئة والمجتمع، ومن أكبر الدَاعين له من الرُومانتيكيين مدام دى ستال

والاتِجاه الآخر ينظر إلى الأدب في علاقته بمؤلِفه، وأكبر الدَاعين له من الرُومانتيكيين هو سانت بيف

أولاً: مدام دي ستايل:

-كانت أكبر داعية للرومانتيكية في فرنسا. وهي أول من أسماها كذلك.

-تأثرت بالألمان في دعوتها إلى بناء النقد على الفلسفة.

-آمنت بأن الأدب صورة للمجتمع، ولا بد لفهمه من الاستعانة بالتاريخ.

-قصدت إلى ربط الإنتاج الأدبي بالمظاهر الاجتماعية،ثم بيان تقدم العقل البشري على مر العصور

كان منهج دراستها يقوم على ما يأتي:

.1ضرب الأمثال بالآداب الأخرى.

.2تحليل بعض مظاهر تلك الأمثال.

.3الإشارة إلى بعض وجوه التشابه بينها، لتوجيه العقول نحوها.

.4الإشارة إلى بعض الأجناس الأدبية وأسسها الفنية في الأمم الأخرى

أثرها في تطوير الأدب المقارن:

.1كان كتابها (ألمانيا) دعوة صريحة لتجاوز النزعة القومية إلى النزعة العالمية المقارنة.

.2ساهمت في نشر المذهب الرومانسي في أوروبا.

.3كل جهودها أسهمت في الدعوة إلى الخروج من نطاق الأدب الواحد في النقد والتحليل.

.4ولكن! لم تعن بدراسة صلات الأدب بعضها ببعض، في نطاق نفوذها وتأثيرها، على نحو ما هو مفهوم من دراسة الأدب المقارن الحقة.

قسمت كتابها (ألمانيا) الى اربعة اقسام:

.1الالمان عاداتهم وتقاليدهم: تقاليد الالمان فى ولاياتهم المختلفة.

.2الادب والفن فى المانيا: تحدثت عن صورة الالمان فى فرنسا وانجلترا" ثم تحدثت عن عصور الادب الالمانى، فن الشعر واساليبه وانماطه الكلاسيكى والرومانسى، كما تحثت عن نشوء فن المسرح وابرز مسرحياتهم.

.3الفلسفة والاخلاق فى المانيا: تحدثت عن الفلسفة فى انجلترا وقارنت بينها وبين الفلسفة الالمانية، وتأثيرات الفلسفة على الشخصية الالمانية والنظم الاخلاقية فى ضوء ذلك.

.4الدين والتعصب الدينى: تناولت الكاثوليكية والبروستانتية، ثم تحدثت عن التصوف ، والتعصب الدينى

وبذلك عرفت مدام ديستال الشعب الالمانى على الشعب الفرنسى ونقلت ايجابياتهم الى ابناء قومها على الرغم من العلاقة العدائية التى كانت تجمعهما.

ثانياً: سانت بوف

-كان يبحث في الإنتاج الأدبي من حيث:

.1دلالته على المجتمع.

.2دلالته على مؤلفه.

-أثر في جعل النقد الأدبي جنساً أدبياً، لأول مرة في تاريخ النقد.

وظيفة النقد:

.1النفاذ إلى ذات المؤلف، لتستشف روحه من وراء عباراته، بحيث يفهمه قراؤه.

.2على النقد أن يتجاوز القيم الجمالية إلى بيان روح العصر من خلال نفسية المؤلف.

.3أن يكون موضوعياً غايته الوقوف على عناصر تكوين الكاتب

طريقة النقد:

-الاعتماد على الملحوظات الدقيقة في حياة المؤلف، ليبين أي نوع من الناس هو، وأثر حالته الطبيعية أو المرضية، ودلالة الصور التي يستعملها، على استخدامه لحواسه وقواه.

-ينصح بموازنة النص الأدبي بنظائره لتتضح خصائصه.

-نظريته

- يرى أن كل كاتب ينتمي إلى نوع خاص من التفكير، يكشف عنه استقصاء طبائع العقول في الأدب الذي ينتمي إليه.

طبائع العقول المختلفة تنتمي إلى بعض نماذج وبعض أصول رئيسية، تعود إلى وجود بعض خصائص للأسر الفكرية التي ينتمون جميعا إليها. فمعرفة أحد كبار المعاصرين قد تستدعي في رأي سانت بيف عدد من كبار الكتاب الموتى لما بينهم من تشابه واضح. فهناك إذن، تاريخ طبيعي لأسر الفكر الطبيعية.

-دوره في الحركة الرومانسية وتطور الأدب المقارن:

-يقف بيف وسطاً بين حدود الرومانتيكية والنظرة الواقعية المتأثرة بالنهضة العلمية، ويظهر ذلك في دعوته إلى الموضوعية في النقد، مع تمايز الخصائص الفردية من خلال الموازنة مع أفراد آخرين.

- تقود نظريته إلى البحث عن عناصر تكوين الكاتب حتماً خارج نطاق أمته وإن لم تتجاوز أمثلة بوف النصوص الأدبية في نطاق الأدب الفرنسي نفسه. إذ قد ينتمي الكاتب إلى أسرة فكرية عالمية في الآداب الأخرى.

-تبرز فكرة التأثير والتأثر، من خلال أن دراسة سيرة الحياة تدفع إلى اكتشاف المؤثرات في المبدع.

-دعا إلى دراسة العظماء باختلاف وتنوع أصولهم ومذاهبهم، وهذا خروج عن إطار قومي أو احتكار مذهبي ضيق.

الحركة العلمية وأثرها في تنشيط الدراسات النقدية المقارنة

منذ القرن الثامن عشر والتاسع عشر ونتيجة للثورة الصناعية التي اجتاحت أوربا، أصبحت الروح العلمية سمة لهذه العصور، ومن ثم أخذ التقنين يلعب دوره في مجالات عديدة في الحياة، والذي كان من نتائج انتشار ظاهرة النهضة العلمية.

من أبرز مظاهر النهضة العلمية المخترعات البخارية والكهربية، الدراسات العلمية المستندة الى أساس منهجي، البحث عن أصول الأشياء، منهجية التحليل والتعليل واستقصاء الأفكار.

تأثُر الأدب والنقد بالروح العلمية أدى إلى توظيف المنهج العلمي في الدراسات الأدبية والنقدية، وبذلك اعتمدت الدراسات الأدبية الاتجاه العلمي في البحث عن أصول الأفكار، والنظم الاجتماعية وتفسيرها تفسيرا علميا دقيقا على أساس ربط تلك التفسيرات بالنتاج الأدبي.

ظهور نظريات علمية وظفت لتفسير الأدب، واستفادت منها الدراسات المقارنة. منها:

نظرية داروين .

نظرية هيوبلت تين .

نظرية جاستون باري .

هيبولت تين(ناقد علمي):

-بنى نظرياته على أمرين:

.1التأثير متبادل بين العوامل الطبيعية والنفسية، التي تتضافر معاً على نمو الجنس البشري واطراد تقدمه.

.2بحوث العلم لا بد أن تؤثر في الأدب والفن.

-عنده أن الطبيعة تتحكم في تطور الإنسان بسلسلة من الأحداث، تؤثر تأثيراً مزدوجاً في نواحي تكوينه: النفسية والحسية معاً.

كتابه: تاريخ الأدب الإنجليزي.

-نصح فيه المؤرخين بضرورة دراسة العوامل النفسية والطبيعية، والسبب:

.1لأنها التي ترجع إليها الخصائص الثقافية والاجتماعية لكل أمة .

.2وهي نفس العوامل التي ترجع إليها خصائص كل شعب في أدبه وفنه.

-هذه العوامل هي: الجنس- البيئة- الزمان.

-أولاً: الجنس:

اي مجموع الاستعدادات الفطرية التي تميز مجموعة من الناس، انحدروا من أصل واحد. وهذه الاستعدادات مرتبطة بالفروق الملحوظة في مزاج الفرد وتركيبه العضوي.

- -ثانياُ: البيئة:

-يقصد بها: ما يحيط بالجنس من عوامل طبيعية ترجع إلى حالة الإقليم الذي يسكنه، ومن عوامل سياسية واجتماعية تؤثر في تفكيره.

- -ثالثاً: الزمان) اللحظة:(Moment

-يقصد به: الدوافع الموجهة للأدب من تراثه الماضي أو الحركة المكتسبة أو تأثير الماضي في الحاضر ومناصرته له.

أثر نظرية تين في الأدب المقارن: لم يساعد تين على نهضة الأدب المقارن إلا في حدود اتجاهه الوضعي لتفسير ظاهرة الفن والأدب والفكر، تفسيراً عاماً ينطبق على كل الآداب والإنتاج الفكري والفني.

(نظرية دارون)ظاهرة علمية مؤثرة في الأدب:

- هي نظرية في التطور وطريقة الاختيار في الطبيعة وأثره في تكون الأنواع الحيوانية.

-كتابه: نشأة الأنواع بطريق الاختيار الطبيعي أو الاحتفاظ بالأجناس المختارة في صراع الحياة

اثر (نظرية دارون)في الأدب:

.1تحدد بها إدراك النقاد للإنسان.

.2رأوا أن كل امرئ معاصر هو نتيجة تكوين العالم له في مختلف العصور.

.3كثرت الكتب التي تبحث في أصول الأشياء والنظم الاجتماعية والأديان.

برونيتيير: (تطبيق نظرية دارون على الأدب):

-اقتنع بنظرية دارون في التطور.

-رأى بأنه يجب أن ينتفع بها في الأدب، وأنها ستقود حتماً إلى المقارنات بين الأدب القومي وما سواه من الآداب.

-فأخذ يبحث في النقد متأثراً بهذه النظرية

ماذا فعل؟

تأمل الأجناس الفنية وطبيعتها، وضرب الأمثلة من الفنون، فرأى:

.1أن بينها صلات كثيرة.

.2هذه الصلات تتدرج في سيرها متطورة من طابع ميتافيزيقي خيالي نحو الواقعية

ومن الأمثلة:

.1الرسم: كان دينياً وأسطورياً ثم تاريخياً ثم واقعياً .

.2القصة: كانت ملحمية، ثم خيالية إنسانية، ثم رومانتيكية، ثم واقعية.

النتائج التي توصل إليها:

.1الأجناس الأدبية لها وجود خارجي ثابت متميز، يختص فيه كل جنس أدبي بمميزات تفرق ما بينه وبين ما عداه، على الرغم من وجود مشابهات بين الأجناس الفنية أحياناً، كما في الأجناس الحيوانية.

.2كل جنس أدبي له زمان خاص به يولد فيه وينمو ويموت. فله حياة خاصة به في امتداد زمني معين، كالأجناس الحيوانية تماماً.

بحث عن علاقات كل جنس فني في داخل نطاقه، هل هي صدفة أم تطور محتوم بعوامل اجتماعية وطبيعية؟

-ومن الأمثلة:

.1الرسم: أكان من الممكن أن يوجد فيه صور الإنسان والطبيعة قبل الرسوم الأسطورية والدينية؟

.2القصة: أكان من الممكن أن توجد القصة الواقعية قبل القصص الملحمية أو الخيالية؟

النتائج التي توصل إليها:

.1ينفي برونيتيير إمكانية وجود القصة الواقعية قبل القصص الملحمية أو الخيالية، كما ينفي وجود صور الإنسان والطبيعة قبل الرسوم الأسطورية والدينية في الرسم.

.2لكل جنس من هذه الأجناس فترة وجود محددة تتولد عن سابقتها الممهدة لها ثم تنتهي إلى لاحقتها الناشئة عنها

بحث عن طبيعة العلاقات بين مختلف الأجناس الأدبية: (التاريخية- الفنية- العلمية)، وقد بين الأسئلة التي يجب التعرض للإجابة عنها في الطريقة التطورية.

الاعتراضات التي وجهت إلى طريقة دراسته للأجناس الأدبية :

-ليس للأنواع الأدبية وجود مستقل حتى تخضع لتطور حتمي كالفصائل الحيوانية. (لأنها رهينة الإنسان الذي ينتج النص الأدبي).

-برونيتيير أعار دراسة الأنواع في ذاتها كل اهتمامه مع أنه يجب أن يهتم بدراسة الشعوب وتطورها وما تفرضه مجتمعاتها على الأدب من تقاليد، وما تتطلبه من أغراض.

-أخطاؤه الكبيرة في التطبيق، مثل اعتقاده بأن الشعر الغنائي تولد عن الخطابة الدينية الكلاسيكية.

- اتباعه منهجاً راسخاً رسوخ العقيدة في تطبيقه منهج العلم على الأدب، فجُمدت نظريته عند تطبيقه لها وجانبَها الصواب؛ لاتباعه حرفية العلم لا روحه ومنهجه العام.